جامعة بنها
كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

ماهية التقدم فى التاريخ

شيماء منصور فتحى مصطفى

مسعد عطية صقر

سامى إسماعيل

خاص بمؤتمر الكلية السنوى ٢٠٢٤

المجلد ٦٣ ابريل 2025
https://jfab.journals.ekb.eg/

الملخص:

يتناول هذا البحث التقدم فى التاريخ فكان التقدم يعنى تحول الإنسان من أسيرلقيود الطبيعة إلى سيد الطبيعة يتحكم فيها ،وهذا التحول يحدث بإستمرار ولا يكتمل إطلاقاً،حيث كان مفتاح التقدم هو الإيمان بأن كل ما فى الكون يعمل وفق قانون ثابت ، وهذا القانون قانون منطقى يستطيع عقل الإنسان أن يستوعبه وأن يفهم غموضه ويدركه، و أكدت نظرية التقدم فى التاريخ على ضرورة التخلص من نفوذ الماضى وسيطرته على الحاضر ،والتفاؤل بما هو قادم .

الكلمات المفتاحية (التقدم–التقدم الفلسفى –التقدم العقلى –التقدم الزمانى –التقدم الحضارى –التقدم التاريخى –التاريخ)

تمهيد :

لقد كان من إسهامات عصر التنوير ظهور نظرية التقدم ظهوراً تدريجياً ، فتبلورت فكرة التقدم خلال القرن السابع عشر ، وأخذت تسيطر على الفكر الأوربى بصورة واضحة خلال القرن الثامن عشر، وخصوصاً مع عصر التنوير و و أكدت نظرية التقدم فى التاريخ على ضرورة التخلص من نفوذ الماضى وسيطرته على الحاضر ،والتفاؤل بما هو قادم ، ولم تنشأ فلسفة التقدم في الفراغ، بل نشأت في السياق التاريخي الحي لحركة المجتمع وتطوروهذه النظرية فى الحقيقة سابقة فى مجال الدراسات التاريخية ،حيث حمل هذا المفهوم نخبة من المفكرين والمثقفين من أمثال (فولتير ،ومونتسكيو ،وكوندريسه ،وفيكو، وهردر،وتيرجو)وغيرهم من المفكرين الذين أمنوا بالتغيير وجعلوه شعاراً لهم.

أهمية الدراسة :تتمثل فى التعرف على ماهية التقدم ،والسمات التى تتصف بها نظرية التقدم ، وإظهار مهمة التقدم عند كلاً من فلاسفة الفكر الحديث والمعاصر .

تساؤلات الدراسة :تتمثل فى توضيح ماهية التقدم ووجهه نظر الفلاسفة القائلين بنظرية التقدم .

أهداف الدراسة :التعرف أهمية التقدم بالنسبة للتاريخ وفلاسفة الفكر الحيث والمعاصر .

منهج الدراسة :المنهج التحليلى النقدى

أولاً: ماهية التقدم:

١-مفهـــــوم التقـــــدم لغـــوياً:

يعني السبق أو الإنتقال إلى الأمام ، أي تقدم فلان:أى صار قداماً وتقدم إليه: تقرب منه، وتقدم إلى فلان بكذا: أمره به أو طلب منه ،وتقدم القوم وعليهم: سبقهم فى الرتبه فصار قدامهم، وبذلك يمكن القول أن التقدم يرتبط بالحركة ويقابلها التأخر أو التراجع ،ويعنى أيضاً الأقدمية بالشرف والعلم(١) والتقدم يعنى أيضاً هو تغيير تدريجي إلى الأفضل(٢) في حين يمكن تعريف التقدم بأنه هو إستمرار التطور مع الصعود للأفضل(٣) ويقصد بالتقدم أيضاً هو تجاوز كل ما هو جديد ،وبذلك تصبح الحداثة تعبيراً عن التقدم ، بينما القدامة تعد تعبيراً عن التأخير(٤) وبالإضافة إلى ذلك يمكن القول أنه من الممكن أن يكون هناك تقدم عندما يتحسن شيء تدريجياً أو عندما يحصل الفرد على موقع أقرب من الإنجاز أو إكتمال شيء ما(٥)

---

(١)-المعجم الوجيز:مادة(قدم)-مجمع اللغة العربية -مطابع شركة الإعلانات الشرقية-القاهرة-١٩٨٠ -ص٤٩٢-٤٩٣.

(٢)-مراد وهبة :المعجم الفلسفى -دارقباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع -القاهرة - ٢٠٠٧-ط٥- ص٢٠٥.

(3)-Adam Gads :by-Michael up shall-Janat whicut:long man-active study dictionary-the Egyption international publishing company-Dokki first published -1986-p205.

(٤)- د.معن زيادة :الموسوعة الفلسفية العربية -معهد الإنماء العربى-بيروت-المجلدالأول-ط١-١٩٨٦-ص٢٩٣.

(5)-http..www.the free dictionary.com.progress

٢-مفهـــــوم التقـــدم إصطلاحـــاً:

ويعني بالتقدم في الإصطلاح هو الإرتقاء من وضع إلى وضع آخر ،ويعتبر أفضل من الأول، وهو ضد التراجع والتأخر، أما مضمونه الحقيقي فيختلف إختلافاً كثيراً بحسب النظريات وتقديرها لما هو أفضل وأحسن(١)

ومن ثم يمكن القول أن التقدم له وجهان وجه عام وهو مجرد السير إلى الأمام في إتجاه معين دون حكم على قيمة هذا السير ،أما الوجه الخاص فهو إنتقال تدريجي من الحسن إلى الأحسن قد تقدم العلم والتقدم الحضاري وتميز التقدم بخصيتين الأولى أنه مسبوقاً بتخطيط، والثانية أنه يستهدف غاية لذلك يمكن القول أن فكرة التقدم ترتبط بالحتمية التاريخية(٢)

-أما تعريف التقـــدم فلسفيـــاً:

فإن كلمة تقدم تستخدم بمعنى تقدم البشر والناس نحو ما هو متأخر من نظر علمي، كأننا نصف تقدم الإنسان أو الشعب أو الأمة بمدى تقدمها وأصبح علماً عند غيرِها، ويعني بالتقدم فلسفياً انه يتخذ حسب نظام الزمن اتجاهاً معاكساً لامتداده فهو يعكس اتجاه الزمن المتناهى، والتقدم كمفهوم فلسفى هو عملية الانتقال من البسيط إلى المعقد ومن الحياة الأدنى إلى الأعلى(٣)

ترى الباحثة أن مفهوم التقدم فلسفياً هوعملية تنتقل من البساطة إلى التعقيد ومن الحياة الدنيا إلى الأعلى ،وهذا المصطلح يحتفظ بدلالته التاريخية كمفهوم يشير إلى حركة التقدم التاريخية من التخلف إلى التقدم ومن الأقل إلى الأكثر تقدماً .

---

(١)-عبده الحلو:معجم المصطلحات الفلسفية -المركز التربوى للبحوث والإنماء- مكتبة لبنان – بيروت-ط١-١٩٩٤-ص٥١.

(٢)-المرجع نفسه -ص٦٠.

(3)- Dictionnaire de philosophie:Noella Baraquin-Jean Dugue - Anne Baudart-Jacque line Laffite-Joel wilfert-Deuxieme edition-Arnand colin -paris-france -2000-p23.

-والتقـــــدم من حيث المفهـــــوم:

يعني رفض الإتجاه الذي إتسمت به معظم المجتمعات البشرية عبر التاريخ ،ويعتقد الإنسان أن المستقبل سوف يكرر الماضي، وعندما توقع تغيير الحياة البشرية ويكمن إفتراض أن التغير سيحدث فجأه وبشكل جذري من خلال تدخل قوي عليا ،ولو سمح البشر لأنفسهم بالأمل في تحسين الظروف البشرية ،فإن الأمل يتجه نحو العبودية من الكون بدلا من إصلاح الكون، ففي العديد من المجتمعات يوجد معتقد شائع حول تغير الظروف الإنسانية على مدار التاريخ لكن للاسوء وعلى العكس نجد أيضاً في المجتمعات الغربية الحديثة التغير والتجديد يحملان وصفاً مختلفاً ولا يمكن لأي فرد أن يفترض أن جميع التغيرات تكون للأفضل دائما ، ومن المفترض أن التغير يعتبر

قادراً على البقاء وعلى ذلك يمكن القول بان فكره التقدم تعتبر إستجابة لظهور مؤسسة إجتماعية فريدة للبحث العلمى المنظم(١)

ترى الباحثة أن فكرة التقدم فكرة إجتماعية إنسانية ترتبط بتاريخ الإنسان وصراعه ضد الطبيعة والجهل ، فنجد أن التقدم يكون ذاتى وغائى وهادف .

-الأصـــل التاريخـــــي لفكـــــرة التقـــــــدم:

لعبت فكره التقدم دوراً أساسياً في الإهتمام بتاريخ العلم كمبحث قائم بذاته ،فبدأت فكره التقدم من الناحية التاريخية تثير الأسئلة في بداية النصف الثاني من القرن(١٧) الميلادي في إطار الصراعات الفكرية التي كانت سائدة في عصر النهضة الأوروبية، ويستخدم التقدم كمعيار للتمييز المعرفة العلمية عن غيرها من المعارف ،ومن ثم فإن فكرة التقدم لم يتم إدراكها بشكل عام كفكرة حديثة إلا مع نشاة العلم الحديث في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ونتيجه الثورة العلمية في هذين القرنين حدث تقارب بينالفلسفة والعلم فتطورت مبادئ الفلسفة الحديثة وكانت تستخدم لتحطيم وإزاله معتقدات المدارس المتزمتة حيث كانت لها دور في بناء العلم الحديث والدفاع عن النظريات الحديثة ،ولم تقتنع الفلسفة بأن تكون مرآه لعلم يتطور بإستقلال عنها بل لعبت دوراً أساسياً في بناء العلم الحديث الذي حل محل المذاهب السابقة

---

(1)-Paul Edwards:the encyclopedia of philosophy –macmillan publishing-co..Newyork-1977-p483

(٢)-سيد نفادى :التقدم العلمى ومشكلاته -سلسلة عالم الفكر (مجلة عالم الفكر الكويتية)-مج٢٩-العدد٢-٢٠٠٠-ص١٥-١٦.

وقد إستمرت نظرية التقدم سائدة طوال القرن التاسع عشر فكان للتقدم معانٍ عديدة على النحو التالى:

١-معنـــــــى فلسفـــــــى :

لقد إتخذ مفهوم التقدم طابع نظرية شاملة فى فلسفة التاريخ فهو تقدم نحو حرية الروح بوعيها لذاتها لدى (هيجل)،ونحو المجتمع اللاطبقى لدى (ماركس).

٢-معنـــــــى حضـــــــارى :

فكان نتيجة لتقدم العلم وتطور الأنظمة السياسية فقد شاعت فكرة السيطرة على قوى الطبيعة حيث تُسخر الطبيعة لصالح الإنسان وسعادته.

٣-معنـــــــى سياســـــى :

عندما وصلت الإمبراطورية البريطانية إلى أشدعظمتها أصبح التقدم قضية مسلماً بها لدى المؤرخين ، فالتاريخ علم التقدم ويجب أن يكتب على أنه تقدم الإنسان(١)

٤-معنـــــى تطـــــورى:

كانت الطبيعة الإنسانية أنبل حصيلة لعملية التقدم ،حيث دعت نظرية التطور إلى مفهوم التقدم ،لذلك نستطيع القول بأن التقدم التاريخى متضمن فى قانون الطبيعة ، فعندما كانت عملية التطور حتمية أدت بالإنسان إلى أن يصبح على رأس الكائنات الحية ،وبما أن الإنسان هو إبناً للطبيعة فبالتالى فهو خاضع للقانون الطبيعى ، ومن ثم يمكن القول بأن مسار التاريخ لابد أن ينطوى على تطور نحو ما هو أسمى وأرقى(٢)

---

(١)-أحمد محمود صبحى:فى فلسفة التاريخ -دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت -لبنان-١٩٩٤-ص١٧٧.

(٢)-أحمد محمود صبحى:فى فلسفة التاريخ -دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت -لبنان-١٩٩٤-ص١٧٨.

ثانياً :ماهيـــــة التاريـــــــــخ .

١-التاريـــــخ لغـــوياً.

إن التاريخ فى اللغة تعريف الوقت وتاريخ الشىء وقته وغايته ، والتاريخ هو علم يبحث فى الوقائع والحوادث الماضية ،وحقيقته كما قال (ابن خلدون)أنه خبر عن الإجتماع الإنسانى الذى هو عمران العالم ،حيث أن بعض المؤرخين يقتصر على ذكر الأخبار والوقائع دون أن يذكر أسبابها ، وبعضهم الآخر يرفض الإقتصار على التعريف بالحوادث الماضية ،فيمحص الأفكار ويعلل الوقائع ويستبدل بالتسلسل الزمانى سببياً يرجع فيه الحوادث إلى أسبابها ، فإذا جعل المؤرخ همه تمحيص الأخبار ونقد الوثائق كان تاريخه إنتقادياً ، أما إذا إستخرج من ذكر الأحوال الماضية عبرة وفائدة يقتدى بها كان تاريخه أخلاقياً ،أما إذا إهتم بأخبار الدول وعلاقتها ببعضها البعض كان تاريخه سياسياً ،أما إذا تجاوز ذلك كله إلى تعليل الوقائع لمعرفة كيفية حدوثها كان تاريخه فلسفياً (١)

وتطلق كلمة تاريخ فى أيامنا هذه على العلم بما تعاقب على الشىء فى الماضى من الأحوال المختلفة سواء كان ذلك الشىء مادياً ، أو معنوياً كتاريخ الشعب ، وتاريخ الأسرة ، وتاريخ الفلسفة ، وتاريخ العلم ،وتطلق أيضاً على الأحوال المتعاقبة التى مرت بها البشرية فمنها ما يعرف بالأخبار والتقاليد والآثار كما فى علم التاريخ(٢)

٢-التاريـــــخ إصطلاحـــــاً.

إن التاريخ هو جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها شخص ما أو مجتمع معين. يمكن استخدام كلمة "تاريخ" بطريقتين مختلفتين، إما للإشارة إلى المحتوى التاريخي نفسه أو للإشارة إلى كيفية التعامل مع هذا المحتوى ،على سبيل المثال إذا قرأت كتاباً

عن تاريخ الحضارة الإسلامية، دراسةالتاريخ، فإنك تستخدم كلمة "تاريخ" للإشارة إلى الطريقة التي يتم بها التعامل مع هذه المعلومات وتحليلها(٣)

---

(١)-جميل صليبا:المعجم الفلسفي -دارالكتاب اللبنانى-بيروت-ج١-١٩٨٢- ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢)-المرجع نفسه- ص٢٢٨.

(٣)-ابراهيم مدكور:المعجم الفلسفي -الهيئةالعامة لشؤون المطابع الأميرية -القاهرة - ١٩٨٣ -ص ٣٦. أنظر أيضاً:(نجاة سليم محاسيس:مفاتيح علم التاريخ- دار زهران للنشر والتوزيع ،الأردن (دط). (دت) ص١٠).

ثالثاً:فلاسفة التنوير القائلين بفكره التقدم في التاريخ:

لقدجاءت فكرة التقدم كرد فعل ضد النظرية التى سيطرت على الفكر اليونانى ، وأيضاً ضد الأفكار التشاؤمية التى تلغى دور الإنسان ، وتنادى فكرة التقدم بنظرية العناية الإلهية فى العصور الوسطى ،وبذلك يمكن القول بأن نظرية التقدم جاءت لتؤكد قُدرة الإنسان على الإرتقاء والتقدم اللامتناهى حيث كان ظهور فكرة التقدم مرتبط بإزدهار العلم الحديث وبزوغ العقلانية ،لذلك كان لفكرة التقدم أهمية فى العصر الحديث والمعاصر فنالت هذه الفكرة إهتمام العديد من الفلاسفة والمفكرين من أهمهم:

(١)-(تيـــرجو)(١٧٢٧-١٨٨١):

لقد تناول *تيرجو قوانين التقدم ولاحظ أنه عند تقدم أى شعب فإن كل خطوة يخطوها تحدث إسراعاً فى معدل التقدم ، وجعل تيرجو فكرة التقدم أكثر حيوية حيث بدت له الفكرة محور نسقى فقامت بنفس دور فكرة العناية الإلهية أى زودت التاريخ بوحدته ومعناه(١)

ولقد تصور تيرجو التاريخ العالمى على أنه تقدم ثابت الخطى على الرغم من رغبة فى جعل الجنس البشرى كتلة واحدة تتجه نحو كمال أعظم يتناوب فيها الإضطراب والهدوء ولا تتحرك عناصر الكتلة فى حملتها بخطوات متساوية وذلك لأن الطبيعة لا تتصف فى نعمها بعدم التحيز ، حيث يتمتع البعض بمواهب يحرم منها الأخرون وأحياناً تساعد الظروف على تنمية منح الطبيعة(٢)

---

*تيرجو :هو إقتصادى ،وسياسى ،وفرنسى ،يعد من أوائل المناصرين للحرية الإقتصادية ،فهو أول من قدم فكرة التقدم فى عمله (مراجعة فلسفية للتطورات المتوالية للعقل البشرى)عام (١٧٥٠م).أنظر إلى :الموسوعة العربية الميسرة : مرجع سابق- ص ٥٦٩)

(١)- ج ب-بيورى: فكرة التقدم -ترجمة:أحمد حمدى محمود-مراجعة:أحمد خاكى- المجلس الأعلى للثقافة-القاهرة-ط١-١٩٨٢- ص١٤٠

(٢)-المرجع نفسه -ص١٣٨.

تـــرى الباحثـــــة أن التقدم ليس نتيجة لتفكير الإنسان فقط بل يعود إلى إحتياجاته ورغباته وطموحاته ، وإذا كان العقل هو الذى يسيطر لكان التقدم قد توقف حيث أن العواطف والتنافس والمغامرة كل هذه العوامل هى التى تدفع الإنسان نحو التقدم حيث يتقدم الإنسان عندما يرتكب الأخطاء ويخاطر بالمجهول .

(٢)- ***فيكـــو vico** (١٦٦٨-١٧٤٤).

هو أحد مؤسسى علم التاريخ وقام بمعالجة جديدة لدراسة التاريخ في عمل عنوانه العلم الجديد عام (١٧٢٥) ،حيث كان رائداً في إدخاله مناهج معينة لدراسة التاريخ، وإقترح بعض المبادئ العامة لدراسة التاريخ، وتحرر من الإتجاه البرجماتي فى التاريخ ويرى أنه لابد لأي عملية لدراسة التاريخ أن تعد شيئا ثانويا،لذلك يرى فيكو أن الإنسان

يخلق تاريخه الخاص ويؤكد على أنه عندما يخلق الإنسان الأشياء يصبح التاريخ مؤكداً على أعلى درجة(١)

ويرى فيكو أن هناك طريقاً خالداً للتاريخ تمرفيه كل أمة ،وكل أمة أو حضارة تنقسم إلى مراحل من النمو والتقدم وهذه المراحل هى :

١-المرحلة اللاهوتية أوالدينية :وفيها يكون الألهة هم الذين يصنعون التاريخ .

٢-مرحلة البطولة :وهى مرحلة الأساطير وفيها يظهر فى تاريخ الأمة أبطال يقودنها فى مغامرات وأعمال بطولية .

٣-مرحلة التمدن :وهى مرحلة النضج التى يجرى كل شىء فى حياة الأمة خلالها بناءًعلى علم ومنطق (٢)

***فيكـــو** (١٦٦٨-١٧٤٤):مؤرخ وفيلسوف إيطالى ، ويعتبر المنظر لفلسفة التاريخ ، فإن جميع دراساته سواء فى الفلسفة والتاريخ هى بمثابة إرهاصات لفلسفة المجتمع البشرى ، ومن أهم مؤلفاته :العلم الجديد فى الطبيعة المشتركة للأمم ،أنظر إلى (عطيات أبو السعود: فلسفة التاريخ عند فيكو -منشأة المعارف -الأسكندرية -(دط)-١٩٩٧-ص٢٤)

(١)- آلبان-ج-ويدجرى:التاريخ ..وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبى-مرجع سابق-ص٢٣.

(٢)- حسين مؤنس:الحضارة (دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها)-سلسلة عالم المعارف -المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب -الكويت-١٩٧٨-ص٢٤٧.

فكان التقدم عند فيكو يتمثل فى مراحل متتابعة فى حياة كل حضارة مستقلة ،وهذا التقدم ممكن أن يصل إلى درجة كبيرة من القوة والإزدهار ومن الممكن أن ينحدرفى عصور أخرى إلى الإغتراب والتفكك البشرى ،لذلك فإن العناية الإلهية تحدد مراحل

النظام فى كل مجتمع ،ولكن ليس هناك غاية نهائية أو رؤية واضحة لتطور الجنس البشرى إلى غاية نهائية ، فإن الحضارة البشرية لا تسير فى خط مستقيم وهذا يوضحة التاريخ الواقعى ،كما أنها تمر بتغيرات وعقبات تسقط البشرية فكثير ما نرى السقوط والإنهيار مثلما نرى التقدم والتطو(١)

فإن مشكلة التقدم من المشكلات التى تناولها فيكو وأهتم بالظروف التى تسبب التقدم العقلى فى التاريخ البشرى ،ولم يتغنى فيكو بفكرة التقدم بل تناولها بالبحث من خلال التاريخ ، **ويتمثل ذلك فى مبدأين أساسيين وهما :**

المبدأ الأول :إن مفهوم التقدم عند الفلاسفة السابقين هو تقدم يسير فى خط واحد فى الزمان ،ولكى يثبتوا ضرورة التقدم قاموا بتصنيف الشعوب بشكل عقلانى ، فلم يكن لديهم إدراك للتنوع والإختلاف بين الشعوب ،لكن فيكو ركز على هذا التنوع فقد بحث فى التاريخ الفعلى للشعوب وكانت مادة دراسته هى التاريخ الحى ،ولم يتناول البشرية كوحدة واحدة بل تناول شعوب وحضارات مختلفة .

المبدأ الثانى :وفى هذا المبدأ يوضح الإختلاف بين مفهوم التقدم عند فيكو عن مفهوم التقدم عند فلاسفة التنوير ،فإن مفهوم التقدم عند فلاسفة التنوير هو أن التقدم غاية التاريخ حيث أصبح التقدم العلمى رمزاً ونموذجاً لتقدم الإنسانية وغاية للتاريخ ،أما مفهوم التقدم عند فيكو فإنه لم يكن لديه غاية للتاريخ ،وربما يقال أن العناية الإلهية عنده هى غاية التاريخ (٢)

---

(1)- I saiah :vico and the ideas of the enlightene ment in vico and conte mparary thought-edited by girogio taglia cozzo and others –Newyork-1976-p262.

(2)-Nibel-robert:vico and the idea of progress-in vico and con temporar though-edited by girogio tagliacozzo and other – .Newyork-1976-pp235-240

حدد فيكـــو ثلاث أنـــواع للطبائـــع :

١-**الطبيعة الأولى** :دينية وتتمثل فى الشعراء اللاهوتيين حيث كانوا حكماء للأمم الأممية، وقد تأسست الأمم الأممية على الدين والعبادة التى صنعتها الأمم بنفسها ،وفى هذه الطبيعة تزداد الطبيعة قوة فى مرحلة ضعف فيها التفكير العقلى وينشط فيها الخيال.

٢-**الطبيعة الثانية** :وتسمى البطولية وفيها كان يعتقد الأبطال أنهم من أصل إلهى ،وجعلوا أنفسهم نبلاء يسيطرون على العبيد الذين دفعهم الفقر والبرد القارص للبحث عن النجاه فلجأوا إلى هؤلاء النبلاء الذين عاملوهم معاملة العبيد.

٣-**الطبيعة الثالثة** :فتتمثل فى البشرية والإنسانية وتتميز بالعقل والتواضع والإتزان والشعور بالواجب والضمير الحى(١)

وعلى الرغم من أن فيكو قد عانى من الفقر وقد تجاهله الكثير إلا أنه يعد المؤسس الحقيقى لفلسفة التاريخ فى الفكر الفلسفى الغربى ،إن فيكو قد وضع قانون تطور الأمم وفيه يحدث ثلاث مراحل مرت بها الأمم ،وكانت له نظرية عن المعرفةالتاريخية وكان مبدئه فى المعرفة هو أن "الإنسان لا يعرف إلا ما يصنعه بنفسه(٢)

ويعتبر فيكو العملية التاريخية عملية يقوم من خلالها البشر ببناء نظام اللغة والثقافة والقانون والحكومة ،وبمعنى آخر يعتبر التاريخ عمليةإنشاء وتطوير المجتمع البشرى مع جميع مؤسساته ،ومن ثم فإن فيكو يعتبر العملية التاريخية كمرحلة من مراحل تطور الإنسان وبناء حضارته (٣)

(1)-Vico:New science-Trans by:Thomas Goddard pergin and Haroldfisch -Newyourk-Gomall university press-1969-p285

(٢)-قيس حاتم هانى الجنابى :فلسفة التأريخ -الدار المنهجية للنشر والتوزيع -عمان -ط١-٢٠١٦-ص٥١.

(3)-Robin-G-Collingwood:the Idea of history -Revised Editin-.Edited by :Jan der Dussen -oxford university-press-1993-p7

(٣)-*مونتسكيـــو (Montesquieu)(١٦٨٩-١٧٥٥).

كان يطلق عليه البعض أنه مؤسس فلسفة التاريخ، والبعض الآخر يقول أنه هو الذي وضع المنهج العلمي في التاريخ حيث أنه كان رائداً في دراسة حقائق التاريخ، فكان مؤلفه روح القوانين الذى كان عام(١٧٤٨)لا يهتم إلا بطريقة غير مباشرة بالتاريخ بوجه عام ،فهو يعالج الأسباب والمسببات في التاريخ دون الإهتمام بأهميته، فكان مركز إهتمامه الأول على تعليل التاريخ بأسباب فيزيائية تتمثل في المناخ والأحوال الجغرافية الأخرى ، فإن مونتسكيو كان ينظر إلى التاريخ نظرته إلى حركات إجمالية عامة لا تتغير طابعها إلا ببطء ، فكان مطلع على التاريخ العالمى ،وعلى الرغم من أن معالجته للتاريخ كانت واقعية إلا أنه لم ينظر إلى التطور التاريخي على أنه مجموعة من العمليات المؤقتة(١)

ومن ثم قام مونتسكيو بتحليل دقيق للعلية فى التاريخ ولطبيعة السياسة ، وقد إختار التاريخ الرومانى لأنه كان أكمل تاريخ لمجتمع سياسى عرفه، وكان فى متناول يده، ويقول مونتسكيو عن العلية فى التاريخ "ليست الصدفة هى التى تحكم العالم "فإن الرومان حققوا سلسلة من النجاحات المتواصلة عندما إتبعت حكومتهم سياسة واحدة، حيث أن هناك أسباب عامة معنوية أو مادية تؤثر فى كل حكومة (تخلقها -تحافظ عليها أو تدمرها) وكل الأحداث خاضعة لهذه الأسباب (٢)

*مونتسكيو :مفكر سياسى واجتماعى ومؤرخ ،تلقى تدريباً عملياً فى القانون فأصبح أحد أفراد الأسرة القضائية ومن أهم مؤلفاته:الرسائل الفارسية (١٧٢١)،روح القوانين(١٧٤٨).أنظر إلى :(عبد الرحمن بدوى :الموسوعة الفلسفية –مرجع سابق– ص٤٨٨)

(١)– آلبان–ج–ويدجرى:التاريخ ..وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبى–مرجع سابق–ص٣١–٣٢.

(٢)– عبد الرحمن بدوى :الموسوعة الفلسفية –مرجع سابق–ص٤٨٨

(٤)–*فولتير(Voltaire) (١٦٩٤–١٧٧٨)

أول مفكر فرنسي إستعمل مصطلح التاريخ وكان له الفضل في صياغته ووضعه كعلم قائم بذاته، ولكن على الرغم من ذلك لا يعني أنه هو أول من إبتدأ بممارسته ولكن تمتد جذوره إلى العلامة العربي(ابن خلدون)، وعليه فإن فولتير نجده يتأمل في الحياة التاريخية، ويعرف التاريخ بأنه سرد الوقائع التي نعتبرها حقيقة، فإن التاريخ عنده عبارة عن سرد لأحداث تاريخية(١)

وبالتالي فإن فولتير يعد هو أول من إستخدم مصطلح فلسفة التاريخ، ويرى أن معناها هو تأمل التاريخ بطريقة أصحاب المذهب العقلى في القرن الثامن عشر وكان يؤمن بالله ولكنه يرفض كل فكره تقول أن التاريخ ينطوى على مجموعة تعلو على الشاكله التي يتضمنها مصطلح العناية الخاصة(٢)

وفسر فولتير التاريخ تفسيراً مادياً ورفض التفسير اللاهوتى للتاريخ ،وكان التاريخ عنده علماً علمانياً خالصاً دون تدخل القوى الإلهية، ويرى أن التاريخ من صنع اناس عاديين تحركهم دوافع إنسانية خالصة ، فإن فولتير لا يعطى تفسيراً واحدياً للتاريخ ،ويمكن وصف تفسيره للتاريخ بأنه تفسير واقعى فكان يعتبر أن تقدم الرأى وتقدم الأنوار هما القوة الأساسية المحركة للتاريخ ، فالتاريخ عنده لم يرتبط بالايديولوجيا الدينية كالتاريخ.

*فولتير(١٦٩٤-١٧٧٨):من أبرزفلاسفة عصر التنويرالأوربى،لعب فكره دوراً هاماً ،أهم مؤلفاته:رسائل فلسفية(١٧٣٣)،رسالة فى التسامح(١٧٦٣).أنظرإلى(أندريه كريتون:فولتير(حياته-آثاره-فلسفته)-ترجمة:صياح محى الدين-منشورات عويدا-بيروت-ط٢-ص١٠).

(١)-ألبان- ج- ويدجرى: التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبى-ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد-الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة -ج١-ط٢-ص١٥-(دت).

(٢)-ألبان- ج- ويدجرى:التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبى-ترجمة/عبدالعزيز توفيق جاويد-الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة -ج٢-ط١-١٩٩٦-ص٣٢.

وجدير بالذكر فإن فولتير كان يرى أن فلسفة التاريخ تعبر عن فكرة التقدم ، فالتقدم هو القانون الباطن والمعنى الجوهرى لتاريخ العالم، وذلك لأن الإنسان كائن عاقل والعقل يدعوه إلى تحسين أحواله وتمكينه من الحياة السعيدة، ويظهر هذا التقدم فى تقدم العلوم والفنون والأخلاق ، وهكذا نظر إلى التاريخ العالمى على أنه سير متواصل فى سبيل التقدم بقيادة العقل الإنسانى(١)

ويتميز عصر فولتير بالعديد من الخصائص أهمهـــــا :

(١)-ظهور النزعة العقلانية والنزعة الإنسانية والتطور العلمى بشكل واضح ،فأصبح العقل هو منتج العلم والمعرفة ،وأستطاع الإنسان أن يقرر مصيره ،ويحقق رفاهيته وتقدمه بواسطة العقل .

(٢)-الإنتقال من التفكير الخاضع للغيبيات إلى التفكير العلمى، فأصبح التفكيريعتمد على العقل الفلسفى .

(٣)-ظهور فكرة التقدم التى تقوم على فكرة أن العقل البشرى قادراً على التطور والتغيرنحو الأفضل والأحسن (٢)

(٥)- كوندرسيـــه(Condorcet)(١٧٤٣-١٧٩٤):

إتجه *كوندرسيه فى كتابه (رسم لوحة تاريخية عن تقدم الذهن البشري) الذي أصدره عام(١٧٩٣) ونشر بعد وفاته عام (١٧٩٥ إلى التاريخ لكي يعطي مخططا تاريخياً عن فكره تقدم العقل البشري وكان يتضمن هذا الكتاب أفكار كوندرسيه عن التقدم ، ويعد أيضاً بمثابة مقدمة تاريخية لعمل ضخم وعظيم عن تاريخ العلم وتاثيره في المجتمع، لذلك حاول كوندرسيه إثبات تقدم الإنسان وإنعتاقه من الإستبداد وسيطرة الطبيعة على تقدمه وإبداعه، لذلك ساهم كوندرسية في فكرة التقدم التي تعتمد على القدرة اللامحدودة للإنسان على إشباع حاجاته الخاصة ومن ثم فإن كوندرسية قد إهتم بالتقدم من خلال نقطتين:

---

(١)-عبد الرحمن بدوى :موسوعة الفلسفة -المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت -ط١-ج١-١٩٨٤-ص١٥٨.

(٢)-هاشم صالح: مدخل إلى التنويرالأوربى -دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت- ط١-٢٠٠٥-ص١٤٦.

١-يرى كوندرسيه أنه كان يوجد في الماضي تحول دون تحقيق تقدم العقل البشري كالحكم الفردى والطغيان وانتشار الجهل وكل ذلك قد تعرض للهدم تحت تأثير الثورة السياسية والتكنولوجية والعلمية(١)

(٦)- هردر((Herder)(١٧٤٤-١٨٠٣):

يعتبر *هردر أعظم مفكر في فلسفه التاريخ بشهادة الكثير من الفلاسفة، فإن فلسفة التاريخ عنده لا تخلو من الطابع الإنساني وهي تعني عنده فلسفة الحضارة ،وإذا كانت

فلسفة التاريخ تبحث في الوقائع التاريخية ومعقوليتها فهي عند هردر تعنى البحث في الحضارة الانسانية باعتبار أن الإنسان واقعة من وقائع الماضي(١)

لذلك يرى هردر أن هناك بعض من الناس ينكرون إنكاراً جازماً وجود كل خطة فى التاريخ لأنهم لا يدركون أن للتاريخ خطة ، والبعض الآخر إعتبر أن كل شىء فى التاريخ عابراً وزائلاً ، ولكن هردر عارض هؤلاء جميعاً ووصف التاريخ بأنه زحف إلى الأمام فهو نتيجة تترتب على العمليات التى تحدث فى عالم الطبيعة التى أدت فى القمة إلى الإنسان ، لذلك يعتبر الإنسان حلقة إتصال بين عالمين فلابد أن تكون حياة البشرية جزءاً من النظام العام الذى يشمل الطبيعة لذلك ذهب هردر إلى القول :(إن تاريخ البشرية بأجمعه يعتبر تاريخاً طبيعياً للقوى والميول الإنسانية التى عدلها الزمان والمكان ،فكل ظاهرة فى التاريخ تعد إنتاجاً طبيعياً)(٢)

Paul Edwards:the encycolopedia of philosophy-vol2-op-cit-(1)- p184

*هردر (١٧٤٤-١٨٠٣):فيلسوف وأديب لاهوتى ألمانى ،دخل فى صراع مع فلاسفة التنوير ،ويعد المبشر بالرومانسية فى ألمانيا ،من أهم مؤلفاته(مقال حول اللغة عام ١٧٧٢م،فلسفة أخرى للتاريخ عام ١٧٤٤م). أُنظر إلى :

kopp,Louis:Gustave,Etude sur herder –strasbourg-vruve) (berger-levrault-1852-p10

(٢)-رأفت غنيمى الشيخ :فلسفة التاريخ-دار الثقافة للنشر والتوزيع-القاهرة -(دط)-١٩٩٨-ص٩٨< (٢)-آلبان-ج-ويدجرى:التاريخ ..وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبى -مرجع سابق -ص٤٤-٤٥.

خاتمة :

ظهرت فكرة التقدم مع بدايةعصر النهضة ،وقد بلغ التقدم ذروته مع بداية عصر التنوير ،حيث كان من الصعب وجود تصورات مكتملة حول فكرة التقدم قبل عصر النهضة ،وإنما كانت هناك بعض الإرهاصات عن هذه الفكرة لدى الفكر اليونانى القديم ، حيث كانت فكرة التقدم تنتمي بصورة متكاملة لروح العصر الحديث، فكان ميلاد فكرة التقدم في عصر النهضة وكانت قاصره على مجال العلوم الطبيعية ،ثم بعد ذلك نالت فكره التقدم نمواً وتطوراً حتى بلغت ذروتها في عصر التنوير، فلم يقتصر التقدم على مجال العلوم الطبيعية، بل شمل العلوم الإنسانية والإجتماعية وغيرها وبذلك يمكن القول بأن التقدم هو إتجاه يحمل قيمة إيجابية فهو ذاتى وليس موضوعياً ،فإن التقدم لا يصدق إلا على المجتمع وحده ،وعلى الوعى الإنسانى أيضاً،فالتقدم نسبى فهو ليس نتاجاً طبيعياً وإنما هو نتاج إجتماعى وتاريخى وثقافى .

قائمة المراجع :

١-جميل صليبا : المعجم الفلسفى بألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية -دار الكتاب اللبنانى -بيروت -ج٢-.١٩٨٢

٢-جورج طرابيشى :معجم الفلاسفة (الفلاسفة -المناطقة -والمتكلمون -اللاهوتيون-المتصوفون) -دار الطليعة للطباعة والنشر -بيروت -لبنان -ط٣-٢٠٠٦ .

(3)-British Philosobhy :What is history &why study it-archived from original on I February -2014 .

٤-حسين فوزى النجار : التاريخ والسير -الدار المصرية للتأليف والترجمة -القاهرة -١٩٦٤.

٥-هاشم صالح: مدخل إلى التنويرالأوربى -دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت-ط١-٢٠٠٥-ص.١٤٦

٦-ألبان- ج- ويدجرى:التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبى- ترجمة/عبدالعزيز توفيق جاويد-الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة -ج٢-ط١- ١٩٩٦.

(7)-kopp,Louis:Gustave,Etude sur herder -strasbourg-vruve berger-levrault-1852.

Summary

This research deals with progress in history. Progress meant the transformation of man from a prisoner of the constraints of nature to a master of nature who controls it. This transformation occurs continuously and is never complete. The key to progress was the belief that everything in the universe works according to a fixed law, and this law is a logical law that can be understood. Man must absorb it, understand its ambiguity, and realize it. The theory of progress in history emphasized the necessity of getting rid of the influence of the past and its control over the present, and being optimistic about what is coming.

Keywords (progress – philosophical progress – mental progress – temporal progress – civilizational progress – historical progress – history)